البحث رقم (١٠)

علم الكلام عند الإمام أبي عذبة في كتابه المطالع السعيدة على متن الخفيدة

دراسة وتحقيق وتعليق

الأستاذ المساعد الدكتور
أحمد عبد الرزاق خلف
كلية العلوم الإسلامية
جامعة الأنبار
isl.ahmedar@uoanbar.edu.iq

السيدة
رانيا إبراهيم محمد
كلية العلوم الإسلامية
جامعة الأنبار

ISSN: 2071-6028

ISSN: 2071-6028

ملخص باللغة العربية

أ.م.د. أحمد عبد الرزاق خلف
الطالبة رانيا إبراهيم محمد

هذا الموضوع هو احد موضوعات العقيدة وأصول الدين والتوحيد، وعنوانه (علم الكلام عند الإمام أبي عذبة في كتابه المطالع السعيدة على متن الحفيدة) دراسة وتحقيق وتعليق. وهو الجزء الأول من المخطوط الذي عنوانه (المطالع السعيدة على متن الحفيدة)، (فالمطالع السعيدة) شرحٌ للشيخ حسن بن عبد المحسن الشهير بأبي عذبة وبأبي الصلاح، شرحَ فيه كتاب (متن الحفيدة) للإمام السنوسي. ويُعد هذا المخطوط من المخطوطات المهمة، لأنه يتضمن شرحاً وافياً لموضوعات العقيدة وعلم الكلام. وموضوع هذا البحث هو جزء من هذا المخطوط، وقد بذلت فيه جهود كبيرة في دراسته وتحقيقه، والتعليق على موضوعاته. فنسال الله تعالى أن يتقبله منا، وان يجعله في سجل حسناتنا، إنه سميع مجيب

الكلمات المفتاحية: الكلام ، الحفيدة ، تحقيق

THEOLOGY BY IMAM ABU ATHBA IN HIS BOOK AL-MATALA AL-SAEDA ALA MATN AL-HAFEDA

Ass. Prof. Dr. Ahmad A. Khalaf
Rania E. Muhammad

Summary

This subject is one of the topics of faith and the origins of religion and unification, and entitled (Alam ALklam And ALemam Abe Athba Fe ktabh Al-matala Al-saeda Ala Matn Al-hafeda) study and inquiry and comment. It is the first part of the manuscript entitled (happy sightings on board the granddaughter), (Almatala ALsaeda) an explanation of Sheikh Hassan bin Abdul Mohsen, explaining the book (Maten ALhafeda) of Imam al - Sunoussi. This manuscript is one of the important manuscripts, because it contains a full explanation of the subjects of doctrine and theology. The subject of this research is part of this manuscript, and has made great efforts in the study and achievement, and comment on the topics. We ask God Almighty to accept Him from us, and to make him in the record of our good deeds.

Keywords: Speech, granddaughter, achievement

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

فإن موضوع علم الكلام من الموضوعات المهمة، وتأتي أهميته باعتباره العلم الذي يتعلق بالعقيدة وأصول الدين. فهو العلم الذي يقتدر به على إثبات العقائد الدينية، والدفاع عنها أمام المشككين والمنكرين.

فلذلك كان سبب الاختيار لهذا الموضوع نابعة من أهميته أولاً، وكذلك رغبة في إظهار ما كتبه العلماء في هذه الموضوعات ولا زال مخطوطاً، فموضوعنا هذا والذي هو بعنوان (علم الكلام عند الإمام أبي عذبة في كتابه الطالع السعيدة على متن الحفيدة) دراسة وتحقيق وتعليق، هو الجزء الأول من هذا الكتاب أو الأصح من هذا المخطوط.

فالمخطوط شرح لكتاب (متن الحفيدة) للإمام السنوسي رحمه الله، وقد قام الشيخ حسن بن عبد المحسن الشهير بأبي عذبة أو بأبي الصلاح بشرحه فسماه (المطالع السعيدة على متن الحفيدة) وهو شرح رائع ومتقن، وقد أجاد الشيخ فيه إجادة كبيرة، وناقش موضوعاته مناقشة وافية.

وقد جاء هذا البحث مكون من مقدمة وقسم دراسي ذكرت فيه عملي في التحقيق، ونماذج من صور المخطوط، وكذلك ما توفر لدي من حياة الإمامين، ثم المباحث الأساسية في المخطوط وهي: مبحث عن موضوع علم الكلام، ومبحث عن واضع علم الكلام، ومبحث عن أسم علم الكلام، ومبحث عن

استمداد علم الكلام، ومبحث عن حكم الشارع في علم الكلام، ومبحث عن مسائل علم الكلام، ومبحث عن نسبة علم الكلام، ومبحث عن فائدة علم الكلام، ومبحث عن فضيلة علم الكلام.

وهذه المباحث ذكرها الشيخ أبو عذبة في المخطوط، ولم أغير منها شيئاً حفاظاً على إخراج المخطوط على أكمل وجه كما أراده صاحبه، وكان عملي ينحصر في الهامش فقط، فقمت بعد الدراسة والتحقيق، بالتعليق على كل مبحث من هذه المباحث، ووضعت إشارة التعليق في نهاية كل مبحث .

أما ما يتعلق بمسائل التحقيق فقد وضحتها بالتفصيل فيما سيأتي إن شاء الله. فنسأل الله العظيم أن يجعل علمنا وعملنا خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب

ويتضمن:

أولا: منهج التحقيق

١. بعد الحصول على نسختين من المخطوط، تم رمز كل منها برمز تميز به عن النسخة الاخرى فأشرت بـ(أ) للنسخة التي اخترتها أصلاً وهي نسخة مكتبة (المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية)، و(ب) إلى النسخة الثانية وهي نسخة مكتبة(المكتبة الأزهرية) وقمت بالمقابلة بينهما، وعند حصول اختلاف في الجمل، أو الكلمات أختار اللفظ الصحيح، أو الأفضل، أو الأقرب إلى الصواب، أو الأنسب في سياق الكلام بعد التأكد أحياناً من المصادر الأصلية من كتب العقيدة، وغيرها، ثم أشرت إلى الفروق في الهامش.

٢. جعلت نسخة (أ) هي الأصل وذلك لوضوحها وقلة أخطاءها، وقد نقلت النص على وفق قواعد الإملاء والرسم المتعارف عليها اليوم، مع العناية بعلامات الترقيم، وضبطه بالشكل التام

٣. إذا حصل خلاف بين النسخ فأختار النص الأمثل وأضعه في المتن، وأعتمد في اختياره على الرجوع إلى النص الأصلي في المصادر التي نقل منها المؤلف.

٤. أثبت الآيات القرآنية برسم المصحف الشريف ثم عزوتها ذاكراً اسم السورة ورقم الآية في الهامش، وفي حال كون النص القرآني جزءاً من آية أقول: (من الآية كذا) بعد ذكر اسم السورة.

٥. خرجت الأحاديث والآثار التي ذكرها المؤلف من مضانها، إلا ما كان مفقوداً فإني خرجته من مصادر أخرى، مع إيراد مصادر الحديث في الهامش.

٦. كما التزمت في التخريج بعد ذكر المصدر على إيراد الكتاب، والباب في الأغلب، ثم إيراد الجزء والصفحة مع رقم الحديث إن كان مرقماً.

٧. قمت بذكر الحديث كاملاً في الهامش إذا ورد جزء منه في المتن.

٨. إذا ورد في الحديث تغيير يسير في ألفاظه ذكرت الحديث بالنص في الهامش.

٩. ترجمت للأعلام الذين ذكرهم المصنف في كتابه عند ذكر العلم لأول مرة، ثم أتبعته بذكر المصادر التي ترجمت لذلك العلم، إلا المشهورين فلم أترجم لهم كالخلفاء الراشدين والأئمة الأربعة.

١٠. ترجمت للبلدان الواردة في الكتاب.

١١. خرجت أبيات الشعر التي وردت في الكتاب ومن ثم عزوتها إلى قائليها ومصادرهم.

١٢. أشرت إلى نهاية كل صفحة من نسخة المخطوطة الأصل(أ) من وضع رقم صفحة المخطوطة بين قوسين معقوفين هكذا [ ]، واعتبرت الصفحة الاولى وجهاً والصفحة الثانية ظهراً.

١٣. عرفت بالكتب التي ذكرها المصنف، وذكرت تفاصيلها في الهامش.

١٤. اعتمدت رسم الكلمات على ما هو عليه اليوم مثل السماء، قائلون، معنى، على، وهكذا كثير من الكلمات، فقد ذكرها الشارح في الكتاب: السما، قايلون، معني، علي، ولم اشر في الهامش إلى ذلك لكثرته، واكتفيت بذكره والإشارة اليه هنا.

١٥. الرموز التي استعملتها في التحقيق:

أ. القوسان المزهران ﴿ ﴾ لحصر الآيات الكريمة التي وردت في النص.

ب. القوسان الهلاليان المزدوجان (( )) لحصر الأحاديث النبوية الشريفة.

ج. القوسان الهلاليان ( ) لحصر الأقوال التي وردت في النص.

د. القوسان المعقوفان [ ] لما يضاف إلى الأصل من النسخة الأُخرى، مع الإشارة إلى ذلك في الهامش، أو إلى ما يضاف من المحقق.

١٦. وضعت صوراً لنسخ المخطوط، لوحة الغلاف واللوحة الأُولى والأَخيرة من كل نسخة.

١٧. وضعت أرقام الصفحات في الهامش بين قوسين هكذا (--) واذا معها أجزاء هكذا (-/--)

ISSN: 2071-6028

ثانيا: نماذج من نسخ المخطوطة للكتاب.

النسخة الأصل: (اللوحة الأولى)

ISSN: 2071-6028

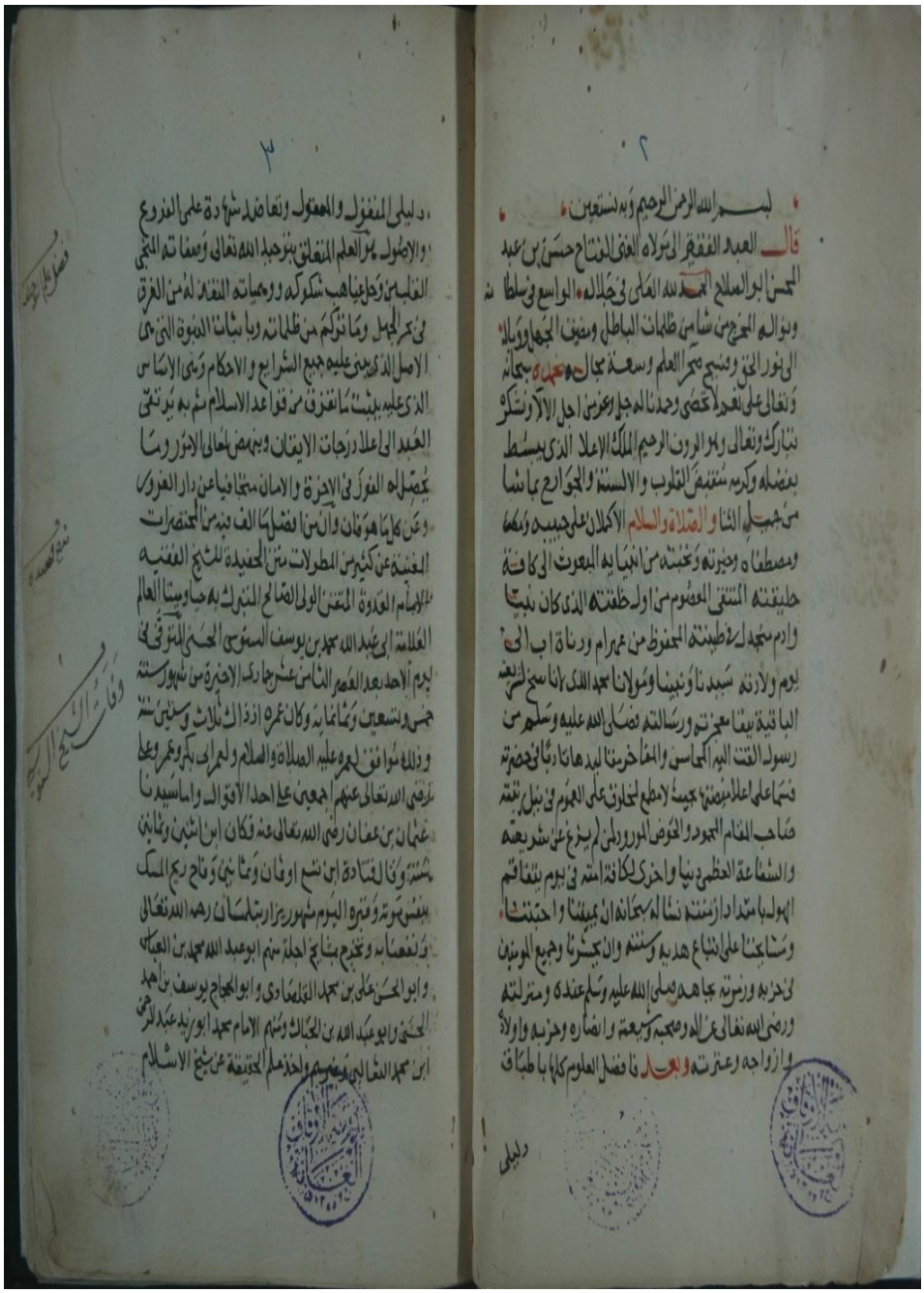

النسخة(ب): (اللوحة الأولى)

ثالثا: حياة المؤلف والشارح

(١) حياة الإمام السنوسي

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر شعيب السنوسي، وبه اشتهر نسبة لقبيلة بالمغرب، الحسني، نسبة للحسن بن علي بن أبي طالب من جهة أم أبيه[١].

لم يتم تحديد تاريخ ولادته بشكل دقيق إلا إنه من المتفق عليه بين أغلب المؤرخين أنه ولد بعد سنة ٨٣٠ للهجرة[٢].

وللإمام السنوسي رحمه الله مؤلفات كثيرة في مجالات شتى وسأكتفي بذكر البعض منها:

١. الشرح الكبير على الحوفية المسمى المقرب المستوفى كبير الجرم كثير العلم ألفه وهو ابن تسعة عشر عامًا، ولما وقف عليه شيخه الحسن أبركان تعجب

---

(١) ينظر: البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان: لابي عبدالله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم المديوني التلمساني، وقف على طبعه: الشيخ محمد ابن ابي شنب، طبع في المطبعة الثعالبة لصاحبيها: احمد بن مراد التركي واخيه سنة ١٢٢٦هـ: ص٢٣٧، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي: ص٥٦٣، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية: لمحمد بن محمد مخلوف: ٣٨٤/١، مُعجَمُ أعلام الجزائِر «مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر»: لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م: ص١٨٠، ومعجم المؤلفين: ١٣٢/١٢، واكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية: لادوارد كرنيليوس فانديك (ت ١٣١٣هـ)، صححه وزاد عليه: السيد محمد علي الببلاوي، مطبعة التأليف (الهلال)، مصر، ١٣١٣هـ-١٨٩٦م: ص١٦٩، الأعلام للزركلي: ١٥٤/٧.

(٢) معجم المؤلفين، لرضا كحالة: ١٣٢/١٢، نيل الابتهاج، للتنبكتي: ص٥٧٠، شجرة النور الزكية، لمحمد بن محمد مخلوف: ص٣٨٥، الاعلام للزركلي: ص١٥٤/٧.

منه وأمر بإخفائه حتى يكمل سنه أربعين سنة لئلا يصاب بالعين ويقول له: لا نظير له فيما أعلم ودعا لمؤلفه[١].

٢. عقيدة أهل التوحيد، المخرجة من ظلمات الجهل وربقة التقليد، المرغمة أنف كل مبتدع عنيد، وسماه: (عمدة أهل التوفيق والتسديد، في شرح عقيدة أهل التوحيد)، وفرغ منه: يوم عرفة، ٨٧٥، خمس وسبعين وثمانمائة[٢].

٣. وله في التوحيد رسالة مختصرة سماها ام البراهين والعقائد وهي المشهورة بالسنوسية الصغرى طبعت في لا يبسك عام ١٨٤٨م مع ترجمة المانية باعتناء العلامة وولف الالماني[٣].

٤. المقدمات المبينة لعقيدته الصغرى قريبة منها جرماً وشرحها في خمسة كراريس.

٥. شرح الاسماء الحسنى في عشرين ورقة، يفسر الاسم ويذكر حظ العبد.

٦. شرح الشاطبية الكبرى.

٧. شرح صحيح البخاري.

٨. شرح مقدمات الجبر والمقابلة لابن الياسمين.

٩. وشرح مختصر ابن عرفة.

---

(١) نيل الابتهاج، لاحمد بابا التنبكتي: ص٥٧١.

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى، بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، ١٩٤١م: ١١٥٧/٢.

(٣) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية: لادوارد كرنيليوس فانديك: ص١٦٩.

١٠. شرح أرجوزة ابن سينا في الطب[١].

توفي الإمام السنوسي في يوم الأحد بعد العصر، الثامن عشر جمادي الآخرة من شهور سنة خمس وتسعين وثمانمائة وكان عمره آن ذاك ثلاثًا وستين سنة، وقبره اليوم مشهور يُزار بتلمسان[٢].

(٢) حياة الإمام أبو عذبة:

هو حسن بن عبد المحسن، المعروف بابي عذبة، متكلم، كان حيًا بعد ١١٧٢هـ.

من تصانيفه:

١. الروضة البهية فيما بين الاشاعرة والماتريدية فرغ منها سنة ١١٧٢هـ.

٢. المطالع السعيدة على متن الحفيدة في التوحيد[٣].

٣. نتائج أفكار الثقات فيما للصفات من التعلقات في مسألة تعلقات الصفات الإلهية، حققه وعلق عليه سعيد فودة، دار الذخائر، بيروت، ٢٠١٤م.

٤. شرح بدء الأمالي في العقيدة، برقم: [٣٣٤٧٤][٤].

٥. نزهة أهل السنة شرح عقيدة ابن الشحنة برقم: [٥٩٥٩٢][٥].

---

(١) ينظر: البستان، لابن مريم: ص٢٤٦.

(٢) ذكر تفاصيل وفاته الشيخ ابو عذبه في هذا الكتاب (....)، والبستان، لابن مريم: ص٢٤٤.

(٣) معجم المؤلفين، لرضا كحالة: ٢٤٣/٣، معجم المطبوعات العربية والمعربة: ليوسف بن إليان بن موسى سركيس (ت ١٣٥١هـ)، مطبعة سركيس، مصر، ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م: ٣٢٤/١، هدية العارفين: لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي: ٢٩٩/١، الاعلام، للزركلي: ١٩٨/٢.

(٤) ينظر: خزانة التراث: ٩٦٥/٣٤.

(٥) ينظر: خزانة التراث – فهرس مخطوطات: ٤٤٤/٥٩.

لم أعثر على تفصيل لحياة الشيخ أبي عذبة مع اني بذلت جهداً كبيراً في البحث عنها، وحتى الذين حققوا كتبه لم يذكروا الا الشيء اليسير عن حياته.

والذي يظهر لي ان الشيخ كان من الذين لا يُحِبونَ أن يذكر عنهم شيئاً، خوفاً من الرياء والسمعة.

إلا أنني رأيته في رؤيا، وكانت تلك الرؤيا في يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان وقد كنت أعمل على مخطوطته المطالع السعيدة، وكان رحمه الله طويل القامة ابيض ذو لحية قصيرة، وله هيبة كبيرة ووقار، وقد ألقى عليّ التحية، فأحسست أنه فرحٌ بما أعمل. نسأل الله العظيم أن يرحمه برحمته الواسعة ويدخله الفردوس الأعلى من الجنان.

النص المحقق

مبحث حدّ علم الكلام:

أما حدّ علم الكلام فهو: (علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه)، وهذا قول العضد[١] في المواقف[٢]، وهو أقرب الحدود، قال: (والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل)[٣].

قال شارحه[٤]: (فإن الأحكام المأخوذة من الشرع قسمان:

أحدهما: ما [ل١١ظ] يقصد به نفس[٥] الاعتقاد كقولنا: الله تعالى عالم قادر سميع بصير، وهذه تسمى[٦] اعتقادية، وأصلية، وعقائد وقد دون علم الكلام لحفظها.

---

(١) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عَضُد الدين الإيجي، عالم بالأصول والمعاني والعربية، من أهل إيج بفارس، ولي القضاء، من تصانيفه «المواقف–ط» في علم الكلام، و«العقائد العضدية–ط» وغيرهما، توفي سنة ٧٥٦هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا: ٢/٧٥–٧٦.

(٢) كتاب المواقف: لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م: ١/٣١.

(٣) المواقف للإيجي: ١/٣١.

(٤) هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف، من كبار العلماء بالعربية، له نحو خمسين مصنفا، منها «التعريفات–ط» و«شرح مواقف الإيجي–ط» وغيرهما، توفي سنة ٨١٦هـ. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت: ٥/٣٢٨–٣٢٩.

(٥) عبارة: "يقصد به كنفس" لم تذكر في (ب).

(٦) في (ب): "يسمى".

والثاني: ما يقصد به العمل، كقولنا: الوتر واجب، والزكاة فريضة، وهذه تسمى عملية وفرعية، وأحكاماً ظاهرية، وقد دون علم الفقه لها، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد ﷺ فإن الخصم وإن خطأناه[١] لا نخرجه من علماء الكلام)[٢].

لقد أحسن رضي الله تعالى عنه في قوله: فإن الخصم... الخ؛ لأن الذي رجع إليه عدم تكفير المخالفين وهو رأي الإمام[٣] والمحققين[٤]، ثم من المعلوم أن هذا في من لم تكن بدعته مكفرة، وعليه يحمل كلامه قدَّس الله سره، والبدعة المكفرة كالقول بقدم العالم، ونسبة التأثير لغير الله تعالى بالطبع، ونفي صفاته تعالى، والقول بتناسخ الأرواح، والقول بالجهة مع المكان، وغير ذلك[٥].

---

(١) في (ب): "خطأنا".

(٢) شرح المواقف: للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، ومعه حاشيتا السيالكوتي والجلبي، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م: ١/٤٣-٤٤.

(٣) أي الإمام السنوسي رحمه الله.

(٤) المحققين كالايجي .

(٥) التعليق: ومن خلال هذه التعريفات يفهم أن هذا العلم يفيد تثبيت العقيدة في النفس، وفي إفحام المخالف وإلزامه، والإنسان إذا فهم العقيدة الصحيحة، وثبتت في نفسه، فإنه يحصل على السعادة المنشودة في الدنيا والآخرة، لأنه كيّف نفسه بحيث يكون متوافقاً في وجوده مع أصول الوجود. ومن كان كذلك، كيف لا يصل الى السعادة وهي كمال الوجود؟! أو هي عبارة عن ترقي الوجود الجائز الى أعلى درجاته، ولا يصل الإنسان الى ذلك إلا بعقيدة الإسلام.

مبحث موضوع علم الكلام:

وأما موضوعه: فهو المعلوم الشامل للموجود والمعدوم والحال، وسواء كان الموجود قديمًا أو حادثًا فالمعلوم من حيث هو، هو موضوع هذا الفن قاله صاحب التذكرة[١] وإلى هذا مال الأمام ابن[٢] زكري ورجحه على غيره من الأقوال حيث قال: في رأيي المعلوم ذا التحقق[٣][٤] ومثله للعضد في المواقف قال: (وهو أي موضوع علم الكلام المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية تعلقًا أو بعيدًا)[٥].

وقيل: موضوع علم الكلام ماهيات الممكنات من حيث دلالتها على وجوب وجود موجدها وصفاته وأفعاله، واختاره الإمام السنوسي[٦].

وقيل: هو ذات الله تعالى إذ يبحث فيه عن صفاته تعالى وعن أفعاله، اما في الدنيا كحدوث العالم، واما في الآخرة كالحشر وعن أحكامه فيهما كبعث الرسل، ونصب الإمام، والثواب والعقاب وفيه نظر من وجهين:

---

(١) ابن حمدون صاحب التذكرة: أبو المعالي محمد بن أبي سعد الحسن بن محمد بن علي بن حمدون الكاتب الملقب كافي الكفاة بهاء الدين البغدادي؛ كان فاضلا ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة، من بيت مشهور بالرياسة والفضل هو وأبوه وأخواه أبو نصر وأبو المظفر، وسمع أبو المعالي المذكور من أبي القاسم إسماعيل بن الفضل الجرجاني وغيره، وصنف كتاب التذكرة وهو من أحسن المجاميع. ينظر: وفيات الأعيان: لأبي العباس: ٣٨٠/٤.

(٢) في(ب): "بن".

(٣) في (ب) "التحقيق".

(٤) محصل المقاصد، لابن زكري، مخطوط (لوحة رقم ٧).

(٥) المواقف، للإيجي: ٣٥/١.

(٦) العقيدة الكبرى، للسنوسي: ص٤٣.

الأول: إنه يبحث فيه –أي: علم الكلام– عن غيرها كالجواهر والأعراض... إلى آخر ما ذكره صاحب المواقف[١].

وقال الغزالي[٢]: [ل١٢و] موضوع هذا العلم أعم الأمور، وهو الوجود المطلق، والمطلوب فيه لواحق الوجود لذاته من حيث إنه وجود فقط، ككونه واجبًا أو ممكنًا أو قديمًا أو عرضًا، أو كليًا، أو جزئيًا، أو واحدًا، أو أكثر، أو علة، أو معلولًا، وكونه بالقوة أو بالفعل أو موافقًا أو مخالفًا، هذه الأمور تلحق الوجود من حيث كونه وجودًا لا من حيث أنه شيء آخر أخص منه، وفيه نظر أيضًا لا يخفى[٣][٤].

---

(١) ذكره العلامة الإيجي ونسبه للقاضي الأرموي. ينظر: المواقف للإيجي: ٣٦/١.

(٢) هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، الإمام زين الدين أبو حامد الغزالي، الطوسي، الفقيه الشافعي، حجة الإسلام، فيلسوف متصوف، صاحب التصانيف المشهورة، توفي سنة ٥٠٥هـ. ينظر: تاريخ الإسلام: ٦٢/١١.

(٣) المستصفى: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م: ٦/١.

(٤) التعليق: أما موضوعه: فهو المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية، ولفظ المعلوم هنا يشمل الموجود والوجودي، حتى يدخل فيه الاعتباري، على رأي من لا يقول بالوجود الذهني، ويرى مباحث المعلوم والحال خارج مباحث هذا العلم. وقد يراد بالمعلوم مطلق ما يصدق عليه ذلك اللفظ، فيدخل فيه حتى المستحيلات والموجودات الحقيقية والاعتبارات، وتدخل حتى المعدومات التي يمكن أن تعلم، ولا إشكال في ذلك إن أمكن أن يستدل بتلك الأمور على الله تعالى، إذ موضوع كل علم هو ما يُبحث في ذلك العلم عن عوارضه الذاتية، ولا شك أنه يبحث في العلم عن أحوا ل الصانع من القدم والوحدة والقدرة والإرادة وغيرها مما هو عقيدة إسلامية ليعتقد ثبوتها له، وعن أحوا ل الجسم والعرض من الحدوث والافتقار والتركيب والأجزاء، وقبول الفناء ونحو ذلك مما هو وسيلة الى عقيدة إسلامية، فإن تركيب الجسم وقبوله للفناء دليل افتقاره الى الموجِد له، وكل هذا بحث عن احوا ل المعلوم لإثبات العقائد الدينية، ولا تظن أن كون موضوع هذا العلم هو المعلوم، يُخرج الكتاب والسنّة من أن يُستخدما لإثبات العقائد الدينية، لأن الكتاب والسنّة هما أساس المعلومات والأدلة التي تدل على العقائد الدينية وتثبتها.

مبحث واضع علم الكلام:

وأما واضعه: فهو الإمام أبو الحسن الأشعري، واسمه علي بن إسماعيل بن بشير بن إسحاق بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن[١] بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ قيل: إنه كان تلميذاً للجبائي[٢] من المعتزلة[٣] فشرح الله تعالى صدره للحق، وغاب عن الناس نحواً من خمسة عشر يومًا، ثم خرج إلى الجامع وصعد المنبر وقال: معاشر الناس إني تغيبت هذه المدة؛ لأن أنظر فتكافأت عندي الأدلة فاستهديت الله تعالى فهداني[٤] إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده، كما انخلعت من

---

(١) في (أ) ابن وما أثبته من (ب).

(٢) هو: محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، أبو علي، شيخ المعتزلة، وإليه تُنسب الطائفة "الجبائية"، نِسْبَتُهُ إلى جُبَّى من قرى البصرة، ومن مصنفاته: "الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ"، و"التَّفْسِيْرِ الكَبِيْرِ"، توفي بالبصرة سنة ٣٢١هـ. ينظر: الدر الثمين في أسماء المصنفين: لعلي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين ابن السَّاعي (ت ٦٧٤هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين، محمد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي، تونس ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م: ص ١٦٥-١٦٦.

(٣) فرقة أسسها واصل بن عطاء، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية، إلى عشرين فرقة، ويقوم فكرهم على خمسة أصول: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: لعبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبي منصور (ت ٤٢٩هـ): دار الآفاق الجديدة، بيروت ط٢، ١٩٧٧م: ص١٨، والملل والنحل: لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي: ٤٣/١.

(٤) في نسخة (ب) "فأهداني".

ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه، ورمى به[١][٢]. وقيل: أشار إليه[٣] النبي ﷺ في رؤيا رآها في شهر رمضان ثلاث مرات، في كل عشرةٍ مرة، أخرها ليلة سبعة وعشرين منه[٤].

وقيل: إنه بلغ في اجتهاده إلى أن مكث عشرين سنه يصلي الصبح بوضوء العشاء وكان يأكل من غلة ضيعة أوقفها جده بلال على نسله[٥].

وقيل: كان ينفق في كل سنة سبعة عشر درهمًا، وهو مالكي المذهب، وقيل: شافعي[٦]، وإليه ينسب جماعة أهل السنة، ويلقبون بالأشاعرة والأشعرية، وكانوا قبل ظهوره يلقبون بالمثبتة؛ لأنهم أثبتوا ما نفته المعتزلة وكان مذهب المعتزلة في وقت الأشعري شائعًا وكلمتهم عالية[٧]، وكان الأشعري يقصدهم للمناظرة في مجالسهم بنفسه، فقيل له كيف تفعل ذلك وقد [ل/١٢ظ] أمرت

(١) عبارة: "ورمى به" لم تذكر في (ب).

(٢) ينظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: لثقة الدين، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت ط٣، ١٤٠٤هـ: ص٣٩، وأبو الحسن الأشعري: لحماد بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي (ت ١٤١٨هـ)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة السادسة، العدد الثالث، رجب ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م: ٦١/١.

(٣) لفظة: "اليه" لم تذكر في (أ) وما اثبته من(ب).

(٤) ينظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري، لابن عساكر: ص٤٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ص١٤١.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ص١١٧-١١٨.

(٧) في (ب): "غالبة".

بهجرانهم؟ فقال: هم أولوا الرئاسة، منهم القضاة، والولاة فهم لرآستهم لا يتنزلون[١] إليَّ، فإن لم أسر إليهم، فكيف يظهر الحق ويعلم أن لأهله ناصرًا بالحجة[٢].

وقد صنف التآليف لأهل السنة، وأقام الحجج على إثبات السنن، وما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى، ورؤيته سبحانه، وبعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما أنكروه من أمور المعاد، فلما كثر تأليفه وانتفع بقوله وظهر لأهل العلم ذبه عن الدين، تعلق أهل السنة بكتبه وكثرت أتباعه، فنسبوا إليه ودعوا باسمه، ومولده سنة سبعين ومائتين بالبصرة وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة[٣] ببغداد، ودفن بين الكرخ وباب البصرة، وقد صنَّف الحافظ أبو القاسم بن عساكر[٤] في مناقبه مجلدًا[٥].

---

(١) في (ب): "لا ينزلون".

(٢) ينظر: الدر الثمين والمورد المعين «شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين»: لمحمد بن أحمد ميارة المالكي تحقيق: عبد الله المنشاوي، دار الحديث، القاهرة: ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م: ص١٩-٢٠.

(٣) ينظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر: ٥٦/١.

(٤) هو: عَليّ بن الْحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الْحُسَيْن الإِمَام الْجَلِيل حَافظ الْأمة أَبُو الْقَاسِم بن عَسَاكِر، له مؤلفات منها: «تاريخ الشام»، و«تبيين كذب المفتري» وغيرهما، توفي سنة ٥٧١هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ: ٢١٥/٧-٢٢٣.

(٥) تبيين كذب المفتري، فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت ١٠٦٧هـ) مكتبة المثنى، بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، ١٩٤١م: ٣٤٢/١.

وله مصنفات كثيرة قال بعضهم: هي خمسة وخمسون مصنفاً[١].

قال القاضي أبو بكر الباقلاني[٢] مقدم أهل السنة والجماعة، أفضل أحوالي أن أفهم كلام الشيخ أبي الحسن الأشعري[٣].

ولقد أجاب[٤] أبو نصر بن السبكي[٥] في ترجمته التي أودعها[٦] طبقاته الكبرى، فالمشهور من أهل السنة في خراسان والعراق والحجاز والشام والمغرب

(١) ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية: لعثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م: ٦٠٦/٢.

(٢) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياسه في مذهب الأشاعرة، له مؤلفات منها «إعجاز القرآن»، و«الإنصاف» وغيرهما، توفي سنة ٤٠٣هـ. ينظر: تاريخ قضاة الأندلس: لأبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الحسن الجذامي النباهي المالقي الأندلسي (ت نحو ٧٩٢هـ)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م: ص٣٧.

(٣) ينظر: شرح الشفا: لعلي بن سلطان محمد، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ: ٤٢٩/١.

(٤) ذكر في النسختين "أجاب" ولعله سهو من الناسخ والصواب "أجاد" والله أعلم.

(٥) هو: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي تمام، قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر بن قاضي القضاة تقي الدين أبي الحسن بن زين الدين بن ضياء الدين الأنصاري الخزرجي السبكي الشافعي، صنف عدة مصنفات من ذلك: «مختصر ابن الحاجب»، و«شرح منهاج البيضاوي» وغيرهما، توفي سنة ٧٧١هـ. ينظر: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: ليوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبي المحاسن، جمال الدين (ت ٨٧٤هـ)، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ٣٨٥/٧-٣٨٦.

(٦) في (ب): "أوعدها".

وأكثر الأقطار الأشعرية أصحابه، وفي ما وراء النهر[١] الماتريدية أصحاب أبي منصور الماتريدي[٢] تلميذ أبي رضي العياضي[٣] تلميذ أبي بكر_الجوزجاني[٤] تلميذ [محمد][٥] بن الحسن الشيباني[٦] تلميذ أبي حنيفة رضي الله عنهم[٧]،

---

(١) ما وراء النهر: يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان، فما كان في شرقيه يقال له بلاد الهياطلة وفي الإسلام سموه ما وراء النهر، معجم البلدان: لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ): دار صادر، بيروت ط٢، ١٩٩٥م: ٤٥/٥.

(٢) هو: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي: من أئمة علماء الكلام. نسبته إلى ماترید، محلة بسمرقند، من كتبه: «التوحيد–ط»، و«تأويلات أهل السنة–ط» وغيرهما. توفي سنة ٣٣٣هـ. ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية: لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبي محمد، محيي الدين الحنفي (ت ٧٧٥هـ)، مير محمد كتب خانه، كراتشي: ١٣٠/٢.

(٣) هو: أَحْمد بن الْعَبَّاس بن الْحُسَيْن بن جبلة بن غَالب بن جَابر بن نَوْفَل بن عِيَاض ابْن يحيى بن قيس بن سعد بن عبَادَة الْأَنْصَارِيّ الخزرجي الْفَقِيه السَّمرقَنْدِي أَبُو نصر العياضي تفقه على الإِمَام أبي بكر أَحْمد بن إِسْحَاق الْجوزجَاني ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي: ٧٠/١.

(٤) هو: أَحْمد بن إِسْحَاق الْجوزجَاني الإِمَام أَبُو بكر تلميذ أبي سُلَيْمَان مُوسَى بن سُلَيْمَان الْجوزجَاني، ولم أقف على تاريخ وفاته. ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي: ٦٠/١.

(٥) ما بين المعقوفتين لم تذكر في (أ) وما أثبته من (ب).

(٦) لفظة: "الشيباني" لم تذكر في (ب). وهو: محمد بن الحسن الشيباني: مولى لبني شيبان، مات بالري سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن ثمان وخمسين سنة. حضر مجلس أبي حنيفة سنتين ثم تفقه على أبي يوسف، وصنف الكتب الكثيرة ونشر علم أبي حنيفة. ينظر: طبقات الفقهاء: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)، هذبهُ محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان: ١٣٥/١.

(٧) في (ب): "رضي الله تعالى عنه".

و(ماتريد) قرية من قرى سمرقند، وقد دخلت الآن فيها والخلاف الظاهر بين[١] الفريقين في بعض المسائل في بادئ النظر لا يقدح في ذلك ولا يوجب صيرورة واحد منهما مبتدعًا، ولا كون أحدهما مُبدّعًا للآخر طاعنًا في دينه؛ لأنها إما أمور جزئية فرعية بالنسبة الى أعدل العقائد الكلية، ومسائل مبنية على تنبيه الألفاظ وتعين المعنى المراد منها[٢]، وإما أمور لم [ل/١٣و] يثبت كونها من مقالة أحدهما[٣]، كمسألة رسالة الرسل عليهم الصلاة والسلام هل تبقى بعد موتهم؟ وهل يصح أن يقال ان كلا[٤] منهم رسول الآن حقيقة أم لا؟ قال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه إنه رسول الآن[٥].

ونقل عن الشيخ أبي الحسن الأشعري: (إنه الآن في حكم الرسالة، وحكم الشيء يقوم مقام أصله)[٦].

قال أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري[٧] رحمه الله تعالى: نسبة الخلاف في هذه المسألة إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري زور وبهتان[٨]، أو ما فهم الزاعم مقصود القائل بها، وهو الآفة الكبرى، والبلية العظمى.

---

(١) في (أ) (بين الظاهر) وما اثبته من (ب).

(٢) لفظة: "منها" لم تذكر في (ب).

(٣) الروضة البهية، لأبي عذبة: ص٥.

(٤) في النسختين (أ) و(ب) جاء لفظ "كل" وهو لا يتفق مع السياق اللغوي.

(٥) الروضة البهية، لابي عذبة: ١٣.

(٦) الروضة البهية، لأبي عذبة: ١٣.

(٧) هو: عبد الماجد بن عبد الواحد ابن الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشيريُّ، أبو المحاسن النَّيسابوريُّ، [ت ٥٢٨هـ]، خطيب نيسابور، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م: ٤٧٦/١١.

(٨) ينظر: الروضة البهية: لأبي عذبة: ص١٤، وينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: ٤٠٦/٣.

فكم من عائب قولًا صحيحًا * وآفته من الفهم السقيم**[١]

وما هذا الاختلاف إلا كالاختلاف الواقع بين أصحاب الأشعري وبينه، وبين أصحاب أبي حنيفة وبينه، ولا شك إن أصحاب[٢] كل منهما لا يبدعون إمامهم[٣][٤].

---

(١) ينسب هذا البيت للمتنبي. ينظر: شرح ديوان المتنبي: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ): ص١٧١.

(٢) عبارة: "الأشعري، وبينه وبين أصحاب أبي حنيفة وبينه، ولا شك إن أصحاب" لم تذكر في (ب).

(٣) الروضة البهية: لابي عذبة: ص٥.

(٤) التعليق: واضع هذا العلم هو الإمام ابو الحسن الأشعري، وحياته مذكورة في المتن، ولكن هناك ملاحظة يجدر بالعاقل أن لا يغفل عنها، وهي أن الإمام الأشعري لما دام فترة من الزمن على مذهب المعتزلة حتى صار يشار إليه أنه من أئمة المذهب، وصار من المناظرين للخصوم والمفحمين لهم، كما يقال. ثم علمنا أنه تراجع عن هذا المذهب الى مذهب أهل السنة والجماعة، فلا بد أن تكون هناك ملاحظة في هذه الواقعة من حيث إنه كيف ولماذا تحوّل من مذهب الى مذهب؟! وهذا لا بد للعاقل ان يلاحظه ويفهمه فهماً صحيحاً، لذا يمكن القول ان إذا تبين له بالدليل القويم اعوجاج أمره، تراجع عنه الى غيره مما ينكشف له أنه حق، بل هذا يدل على صفاء جوهره، وهمته العالية وإخلاصه العميق. فالإمام الأشعري لما نظر مسائل المعتزلة مسألة مسالة، بانَ له خطأهم في كثير منها، فجعل يناقش مشايخهم مرة تلو الأخرى حتى يتبين ما هو الحق، وكان يتقصد الاعتراض عليهم وتوجيه الإيرادات الواردة عليهم كما هو معلوم، ثم مع تكاثر المسائل التي تبيّن له رحمه الله غلطهم فيها، كان لا بد له أن يفهم أن الأصول التي بنوا عليها مذهبهم، يلزم إعادة النظر فيها، وهذا أنتج عنده حصيلة من الأفكار والمعاني دفعته لكي ينعزل بنفسه فترة كانت بالنسبة إليه كافية للوصول إلى منهج عقلي متكامل يمكن به الوصول الى المعاني الصحيحة من القرآن والسنة، وإلى بناء فهم عميق من الأخبار والنصوص والواردة في الشريعة المتكاملة بحيث لا يكون هذا الفهم متعارضاً مع أمر يؤيده العقل ولا يؤدي إلى تضارب بين ذات النصوص حتى لا يكون فيه إسقاطها، ويكون منسجماً ومفسراً وموضحاً في نفس الوقت لأقوال السلف المشهود لهم من صاحب الشريعة بالصلاح والتقوى.

مبحث اسم علم الكلام:

وأما اسمه: فله ثلاثة أسماء، علم أصول الدين، وعلم الكلام، وعلم التوحيد(١)، وقد يقال بحذف علم في الثلاثة ولكل منها منابعه.

أما وجه مناسبته تسميته بالأول؛ فلأن ما سواه من العلوم الشرعية كالتفسير، والحديث، والفقه وأصوله، فروع عن هذا العلم ومبنية عليه، وأصل الشيء ما يبنى عليه ذلك الشيء، وسيأتي وجه بنائها عليه إن شاء الله تعالى عند الكلام على نسبته من العلوم.

وأما تسميته بعلم الكلام فقيل: لكثرة الكلام فيه، وقيل: لأن فيه مسألة الكلام التي كثرت الأقوال فيها من أن الكلام هل هو صفة قديمة كما هو مذهب أهل السنة؟ وهو مع ذلك ليس بحرف ولا صوت كما هو مذهب الاشاعرة منهم(٢) ومحققي الماتريدية (٣) رضي الله تعالى عنهم وهو الحق؛ أو بحروف قديمة قدسية علوية لا تشبه حروفنا كما هو مذهب غير المحققين من الماتريدية(٤)، أو ليس له كلام على معنى وصف يقوم به [ل /١٣ظ] بل هو متكلم على معنى أنه خالق

(١) ذكر هذه الأسماء الثلاثة ابن زكري. ينظر: محصل المقاصد، مخطوط (لوحة رقم /٧).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب «التفسير الكبير»: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ: ٤٤/١.

(٣) ينظر: شرح وصية الإمام الأعظم أبي حنيفة ﷺ: للعلامة الأصولي الفقيه المحقق أكمل الدين محمح بن محمد البابرتي الحنفي (ت ٧٨٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد صبحي العايدي، حمزة محمد وسيم البكري، دار الفتح، ط١، ٢٠٠٩م: ص٩٣.

(٤) ينظر: نهاية الإقدام في علم الكلام: للشيخ الإمام عبد الكريم الشهرستاني رحمه الله، حرره وصححه الفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م: ص٣٠٦-٣٠٧.

الكلام في شجرة مثلًا فسمعه موسى، أو في اللوح[١]، أو على لسان جبريل، أو على قلب سيدنا ومولانا محمد ﷺ دال على ما نراه ونفهمه فيه، وهو من الفاتحة إلى الناس، وليس في ذات الله تعالى كلام أصلًا، بل هذا الذي خلقه لا غير وهو حروف وأصوات حادثة يستحيل قيامها بذاته تعالى، ولا يعقل الكلام غير حرف وصوت كما هو مذهب المعتزلة[٢]، أو أن كلام الباري القائم بذاته حروف وأصوات، ومع كونه حروفًا وأصواتًا فهو قديم أزلي، وهو الذي نقرؤه، وهو حالة اتصافنا به قديم بل يكون المداد حادثًا فإذا كتب به صار قديمًا كما هو مذهب الحنابلة من المعتزلة والحشوية قبحهم الله تعالى، وسيأتي بطلانه إن شاء الله تعالى إلى غير ذلك من الاختلافات، فسمي لذلك بعلم الكلام؛ من باب تسمية الشيء باسم جزئه، وقيل: لأنه أكثر العلوم نزاعًا وخلافًا.

وأما تسميته بعلم التوحيد فلاشتماله على إثبات الوحدانية لله تعالى.

وقال اليَفُرَني[٣]: لأنه المطلوب في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ

(١) يقصد به اللوح المحفوظ وهو: جسم نوراني كتب فيه القلم بإذن ربه ما كان وما هو كائن وما سيكون تمسك عن القطع بتعيين حقيقته. هداية المريد لجوهرة التوحيد: للإمام العلامة إبراهيم اللقاني المصري المالكي (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق الشيخ محمد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٢م: ص٣٦١.

(٢) قال القاضي عبد الجبار: (وانه الحروف المنظومة والأصوات المقطعة). شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار: ص٥٢٨.

(٣) هو: علي بن عبد الرحمن اليفرني، أبو الحسن، الشهير بالطنجي، الفقيه الحافظ الإمام العالم الفرضي، أخذ عن أبي الحسن الصغير وغيره وعنه الإمام السطي وغيره. له تقييد على المدونة، توفي سنة ٧٣٤هـ. ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: ٣١٣/١.

(٤) سورة الإخلاص، الآية ١.

(٥) سورة محمد، من الآية ١٩.

أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[١] وقال عليه الصلاة والسلام: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله))[٢][٣].

مبحث استمداد علم الكلام:

وأما استمداده: فمن معرفة أقسام الحكم العقلي الثلاثة التي هي الوجوب والاستحالة والجواز؛ لأن المتكلم يثبتها مرة، وينفيها أخرى، كقولنا يجب لله تعالى ثبوت صفات زائدة على ذاته العلية، ويستحيل أن يكون معه مؤثر في فعل من الأفعال، ويجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن، أو تركه صلاحا كان أو ضده وهذا معنى [ل/١٤و] قولنا يثبتها مرة.

---

(١) سورة هود، من الآية ١٤. وردت الآية في النسختين: "فأعلم أنه لا إله إلا هو" وما أثبته من نص المصحف.

(٢) هذا جزء من حديث ونصه: عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها، وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله)). صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة: ٨٧/١ برقم: [٣٩٢]، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله: ٥١/١ برقم: [٢٠]. واللفظ للبخاري، ولم أقف على مؤلفات اليفرني.

(٣) التعليق: يسمى هذا العلم بأسماء عدة منها: علم التوحيد، وسمي بهذا الاسم لأن أشهر مباحثه وأهمها هو مبحث وحدانية الله تعالى، ويسمى أيضا أصول الدين، وذلك لأنه يتكفل ببيان الأصول الاعتقادية، وهي ما يتعلق بالإلهيات والنبوات واليوم الآخر، وكذلك يسمى الفقه الأكبر، وهي تسمية الإمام أبي حنيفة، وذكر أن: (الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام)، ويسمى علم الكلام وذلك لأمور منها:

ا- لأن مسألة كلام الله وخلق القرآن من أشهر مباحثه وأكثرها جدلاً، حتى كثر فيها الخصام.

ب- لأنه يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم.

ج- لأن أصحابه تكلموا في أمور سكت عنها أهل السلف من الصحابة والتابعين كمسائل الصفات والقدر

وأما قولنا: وينفيها أخرى، كقولنا: لا يجب عليه تعالى صلاح البرية، ولا يستحيل عليه تعالى عقاب المطيع، ولا يجوز أن يقع في ملكه مالا يريد، وقد علم أن الحكم يستدعي تصور الموضوع، والمحمول، والنسبة، وهذه الأقسام وقعت محمولات لمسائل هذا العلم، فلا بد من معرفتها أولًا، ولهذا كانت معرفة الأحكام العقلية استمداد هذا العلم، ثم توقفه عليها من حيث تصورها لا من حيث إثباتها لموضوعاتها، أو نفيها، وسنبين إن شاء الله تعالى ما يتعلق بالحكم العقلي والشرعي والعادي[١].

(١) التعليق: استمداد هذا العلم من الوجوب والجواز والامتناع، وقال البعض: استمداده القرآن والحديث والإجماع ونظر العقل، ولعل الاختلاف إنما هو في التعبير واللفظ لا في الحقيقة والمعنى؛ لأن الجواز والوجوب والامتناع إنما تؤخذ من تلك المذكورات، وهذا هو مذهب أهل السنة؛ وهو مذهب أهل الحق، فلا حكم تكليفياً أو تابعاً له إلا من الشرع، او يكون الاختلاف مجرد اعتبار. وأما وظيفة العقل، فما هي إلا معرفة ماهية وصفة الواقع ومعرفة الأمر في نفسه على حسب قدرة البشر، من دون ترتيب حكم تكليفي عليها، فنحن نستخدم العقل عن طريق النظر في العالم الخارجي، للتعرف على وجود الله، أي على أن الله موجود، ولكن وجوب الإيمان بالله تعالى بحيث يعاقب من لا يؤمن ويثاب من يؤمن هذا إنما يعرف من الشرع لا من العقل، بناءً على ذلك، يمكن القول ان كل العلوم السابقة والمصادر المعرفية تدل فعلا على العقائد، ولكن هذا لا يستلزم عدم انبنائها على هذا العلم، فلا يتم التصديق بالحديث إلا إذا أثبت نبوة النبي، وهذا لا يتم إلا بهذا العلم –علم الكلام وأصول الدين– ولكن بعد إثبات ذلك يدلنا النبي عليه السلام على العقائد فعلا، وكذلك القول في القرآن إلا بإثبات وجود الله تعالى، لأنه كلامه، فلا يمكن التسليم بأنه كلام الله تعالى إلا بعد إثبات وجود الله تعالى، مع ذلك فإن القرآن نفسه، يدل بعد ذلك على العقائد والأدلة التي يمكن أن تتبع في علم الكلام والتوحيد، وأهل السنة لم يختلفوا في الإقرار بأن العقل يمكنه معرفة الأحكام العقائدية، ولكنهم اتفقوا على أن التكليف بالاعتقاد لا يمكن أن يثبت إلا بالنقل، والدليل الشرعي. ولهذا فأهل السنة يستدلون على العقائد بالدليل العقلي، ومرادهم بذلك إثبات حقيقتها ومطابقتها للواقع، لا إثبات التكليف بها بالعقل، فإثبات التكليف بها يكون بالشرع. لذا يمكن القول: إن للعقل مجالاً في هذا العلم، ولكنه محصور في أمور بيّنها أهل السنة والجماعة، وهذا الحصر ليس تحكماً منهم في العقل ولكنهم لما نظروا في العقل عرفوا ان له حدوداً وجهات لا يمكن أن يغوصَ فيها، فجعلوها له حدوداً لا يتعداها، وهذا التحديد منهم جارٍ على موازين للعقل نفسه.

مبحث حكم الشارع في علم الكلام:

وأما حكم الشارع فيه: فالوجوب شرعًا تعليمه وتعلمه على المتأهل وجوبًا محتمًا أي فرضًا لا ترخيص فيه لقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ (١)، عينياً في العيني منه، وهو ما يخرج به المكلف من التقليد إلى التحقيق، وأقله معرفة كل عقيدة بدليل ولو جلياً، وهو الذي يُحَصّل العلم والطمأنينة للقلب بعقائد الإيمان ولا يقدر معه على إبطال الشبه وحل(٢) الشكوك، ولا يشترط التعبير باللسان ولا بغيره عما حصل في القلب؛ لأن المطلوب طمأنينة القلب بالإيمان، وقد حصلت.

وكفائيا في الكفائي منه، وهو الذي يقدر على تحقيق مسائلة، وإقامة الأدلة التفصيلية عليها، وإزالة الشبه عنها، وحل الشكوك بقوة.

والجهل على قسمين: جهل يمكن المكلف دفعه بحسب العادة كالجهل بالعقائد الدينية والأحكام الشرعية، وهو ليس عذرًا عند الله تعالى ينفي مؤاخذته بارتكابه مُقتضاه فإنه سبحانه بعث رسله صلوات الله وسلامه عليهم إلى خلقه برسالته، وأوجب عليهم كافة أن يتعلموها ثم يعملوا بها، فالعلم والعمل بها واجبان، فمن ترك التعلم والعمل وبقي جاهلًا، فقد عصى معصيتين؛ لتركه واجبين، وإن علم ولم يعمل فقد عصى معصية [ل/١٤ظ] واحدة بترك العمل، ومن علم وعمل فقد نجا على ما يشير إليه قوله ﷺ: ((كل الناس هلكا إلا العالمون،

---

(١) سورة محمد، من الآية ١٩.

(٢) في (ب): "وحكم".

والعالمون كلهم هلكا إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكا إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم))[١].

والثاني: ما لا يمكنه دفعه بحسبها كالجهل بإخوة من تزوجها يظنها أجنبية، وبخمرية مائع شربه يظنه خلًا، وبنجاسة طعام يظنه مباحًا طاهرًا، وهو عذر عند الله تعالى مانع من ترتب مقتضيات هذه الجهالات عليها، والله تعالى أعلم، فيجب أن يكون في كل قطر يشق منه الوصول إلى غيره شخص قائم بحق مستيقن بهذا العلم يقاوم دعوة المبتدعة ويكف الزائغين عن الحق، ولا شك أنه لا يكون بهذه الصفة إلا من تضلع بفنون المعقول؛ لارتباط العلوم واحتياج البعض منها إلى البعض[٢].

---

(١) أورده الصغاني في موضوعاته وقال: (هذا حديث مفترى وملحون). موضوعات الصغاني: للإمام العلامة الفقيه المحدث اللغوي: أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن القرشي الصغاني (ت ٦٥٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: نجم عبد الرحمن خلف، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م: ص ٣٨ برقم: [٣٩]، ووافقه العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس: لإسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبي الفداء (ت ١١٦٢هـ)، المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م: ٣٧٨/٢ برقم: [٢٧٩٦]، وحكم عليه الألباني بالوضع. ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م: ١٧٤/١ برقم [٧٦].

(٢) التعليق: حكم هذا العلم مما يرجع للدليل الإجمالي ففرض عين ؛ والدليل الإجمالي المقصود به المعرفة الإجمالية للدليل الحقيقي، فمثلاً: الدليل على وجود الله تعالى هو حدوث العالم –اي خلق المخلوقات– ولكن حدوث العالم، اي وجوده بعد العدم هذه العبارة يمكن التفصيل فيها على درجات متباينة، فتكون القدرة عند بعض الأشخاص على تفصيل الكلام فيها أكثر من البعض الآخر، وهكذا تتفاوت المعرفة بين الناس، فيصبح المقصود بالدليل الإجمالي هو القدرة على الاستدلال الإجمالي على صحة العقيدة المعيّنة، أي المعرفة التي يمكن لأي إنسان أن يحصلها بأقل جهد، فهذا القدر من المعرفة واجب وجوباً عينيّاً على كل مكلف ذكر أو أنثى، ويعصي من لا يعرفه، فهذه المعرفة هي المعرفة الواجبة على كل إنسان، وكذلك في كل عقيدة من عقائد الإسلام، وحتى لو لم يستطع الإجابة عن التساؤلات والإيرادات والتشكيكات التي يمكن أن يوردها المنكر. وأما ما يرجع للدليل التفصيلي فهو فرض كفاية، وذلك لأنه لا يجوز ترك الأمة لعبة تلعب بها أهواء المشككين من دون وجود إنسان قادر على دفع هذه الشُبه، ولذلك يجب وجود من يقدر على القيام بمهمة الدفاع عن عقائد الإسلام وتثبيتها في صدور العوام والعلماء، وهذا إن قام به واحد فقط سقط الفرض عن الآخرين، يقول الإمام اللقاني في شرحه على الجوهرة: ص٢٤، عند قوله: وبعد فالعلم بأصل الدين محتم يحتاج للتبيين يعني أن تعلم أصول الدين والتوحيد وتعليمه واجب شرعاً وجوباً محتماً أي لا ترخيص فيه لقوله تعالى ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ عينياً في العيني منه، وهو ما يخرج به المكلف من التقليد إلى التحقيق، وأقله معرفة كل عقيدة بدليل ولو جملياً، وكفيائياً في الكفائي منه، وهو ما يقتدر معه على تحقيق مسائله وإقامة الأدلة التفصيلية عليها، وإزالة الشبه عنها بقوة.

مبحث مسائل علم الكلام:

وأما مسائله: فأعلم أن مسائل كل علم هي القضايا التي بُنيت فيه بطريق القصد، فمسائل هذا العلم هي مقاصده بينت فيه بالبراهين العقلية، كحدوث الجواهر والأعراض، وإثبات الصانع والصفات، أو بالدلائل السمعية كإثبات المعاد والجنة والنار، وغير ذلك من المطالب القطعية؛ لأن المطلوب في الاعتقادات القطع، فلذلك لا تثبت بالأمارات وهي الأدلة الظنية؛ لأنها لا تنتج إلا ظنًا وقد ذم الله سبحانه[١] وتعالى قومًا اتبعوا الظن فيما المطلوب فيه العلم فقال: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾[٢] وقال سبحانه مخاطباً لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾[٣] هذا بخلاف العمليات فإن الظن فيها كاف؛ لإجماع الصحابة على العمل بخبر الواحد والقياس[٤]، وظواهر

---

(١) لفظة: "سبحانه" لم تذكر في (ب).

(٢) سورة الأنعام، من الآية ١١٦.

(٣) سورة الإسراء، من الآية ٣٦.

(٤) القياس فهو في اللغة: (التقدير، ومنه قست الثوب بالذراع، إذا قدرته به). المطلع على ألفاظ المقنع: لمحمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبي عبد الله، شمس الدين (ت ٧٠٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب: مكتبة السوادي للتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م: ص٤٨٢.

وشرعا: عرفه ابن قدامة بقوله: (حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما). روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م: ١٤٢/٢.

الكتاب والسنة، بل إنما تثبت بالبراهين القطعية، أو القواطع السمعية كالقرآن والسنة المتواترة، إذا كان كل منهما نعتًا في مدلوله [ل/١٥و] وكالإجماع القولي(١) المنقول بالتواتر، وبخلاف السكوتي(٢) والمنقول بالإجماع إلا أنه لا بالسمع من العقائد إلاّ ما لا تتوقف عليه المعجزة كالسمع(٣) والبصر(٤) والكلام(٥) والوحدانية على قول بخلاف ما تتوقف عليه كوجوب الوجود للصانع والصفات المصححة للفعل، وهي الحياة(٦) والعلم(٧) والقدرة(٨) والإرادة(٩)؛ لأنها لو ثبتت بالسمع لجاء الدور كما سنبينه إن شاء الله تعالى في محله(١٠).

(١) الإجماع القولي: (هو أن يصرح كل واحد من جماعة المجتهدين بما يفيد قبوله للرأي المعلن للاتفاق عليه. فمثلا لو أفتى بعض المجتهدين المعاصرين بحل عقود التأمين، وصرح كل مجتهد معاصر بما يفيد موافقته على ذلك لأصبح إجماعا قوليا وحجة شرعية). الإجماع في الشريعة الإسلامية: لرشدي عليان، الجامعة الإسلامية، ط السنة العاشرة، العدد الأول، جمادى الأخرة ١٣٩٧هـ، مايو – يونية ١٩٧٧م: ص٧٤.

(٢) الإجماع السكوتي (وهو أن يقول بعض أهل الاجتهاد بقول، وينتشر في المجتهدين من أهل ذلك العصر فيسكتون، ولا يظهر منهم اعتراف، ولا إنكار). إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق، كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م: ١/٢٢٣.

(٣) السمع: (صفة وجودية قائمة بالذات شأنها إدراك كل مسموع وإن خفي). المسامرة، لابن الهمام: ص٧١.

(٤) البصر: (صفة وجودية قائمة بالذات شأنها ادراك كل مبصر وإن لطف). المسامرة، لابن الهمام: ص٧١.

(٥) الكلام: (صفة تدل على جميع المعلومات). العقيدة الإسلامية، لقحطان الدوري: ص٣٩٤.

(٦) (صفة قديمة قائمة بذاته موجبة لصحة العلم والقدرة، وكل وصف يصح له فهو واجب). شرح العقائد العضدية: ص٤٦.

(٧) (صفة ينكشف بها الشيء عند تعلقها به). نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام: ص٣٨.

(٨) هي: (صفة أزلية يتأتى بها ايجاد كل ممكن واعدامه على وفق الإرادة). إتحاف المريد بجوهرة التوحيد: للعلامة عبد السلام بم إبراهيم اللقاني (ت ١٠٧٨هـ)، قدم له: محمد علي أدلبي، مكتبة دار الفلاح، حلب، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م: ص٨٧.

(٩) هي: (صفة قديمة زائدة على الذات قائمة بها شأنها التخصيص، فتخصص كل ممكن ببعض ما يجوز عليه). إتحاف المريد بجوهرة التوحيد: ص٨٩.

(١٠) التعليق: ومسائل هذا العلم: هي القضايا النظرية الشرعية الاعتقادية، التي تثبت بالبراهين العقلية والدلائل السمعية القطعية، كوجود الصانع سبحانه وتعالى وصفاته العلية والرسالات السماوية والمعجزات الربانية والجنة والنار وغيرها من المسائل.

مبحث نسبة علم الكلام:

وأما نسبته إلى غيره من العلوم: فالأعميّة؛ لأن العلوم منها عقلية كالطب، والحساب، والهندسة، ودينية كعلم الكلام والفقه وأصوله والحديث والتفسير، وعلم الباطن وكل منها ينقسم إلى كلي وجزئي، فالكلي من الدينية هو علم الكلام، وسائرها جزئية بالنسبة إليه؛ لأن المفسر ينظر في معنى الكلام[١] فقط، والمحدث ينظر في طرق الحديث فقط، والفقيه في أحكام المكلف خاصة، والأصولي في أدلة الأحكام الشرعية لا غير، والمتكلم ينظر في أعم الأشياء وهو المعلوم فيقسمه إلى موجود ومعدوم، ثم الموجود إلى قديم ومحدث، ثم المحدث إلى جوهر وعرض، ثم العرض إلى ما يشترط في وجوده الحياة، وإلى ما يستغني عنها، ثم ينظر في المعدوم فيقسمه إلى جائز الوجود وإلى مستحيله، ثم ينظر في القديم فيميزه إنه لا يتكثر ولا ينقسم ولا يتحيز، بل لابد وأن يكون واحدًا، وأن يكون واجب الوجود، وأن يكون مميزاً عن الحوادث بأوصاف تجب له، وبأمور تستحيل عليه، وبأحكام تجوز في حقه، وأن تكون ذاته العلية مخالفة لجميع الذوات لعينها وصفاته السنية تخالف جميع الصفات لعينها، لا لأمر زائد عليه، فمخالفته تعالى للحوادث لعين ذاته وحقيقته، لا لأمر زائد عليها ولا مشاركة بينه وبين [ل/١٥ظ] غيره في ذاته وحقيقته ولا صفة من صفاته، ثم يبين أن أصل الفعل جائز في حقه تعالى أن يفعله وأن لا يفعله، وإن العالم فعله الجائز، وإنه لجوازه افتقر إلى[٢] المحدث، وإن بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام من أفعاله الجائزة، وإنه قادر عليه وعلى تعريف صدقهم بالمعجزات، وكذا رؤيته تعالى في الدار الآخرة، وفعل الصلاح والأصلح لعباده، وإن هذا الجائز واقع، وعند هذا ينقطع كلام المتكلم ويغر العقل نفسه ويعترف بأنه يتلقى من النبي ﷺ بالقبول ما يقوله في الله

(١) في (ب): "الكتاب".

(٢) لفظة: "إلى" لم تذكر في (ب).

تعالى وفي اليوم الآخر، وقد عرفت من هذا أنه يبتدئ نظره أولاً في أعم الأشياء وهو المعلوم، ثم ينزل بالتدريج إلى التفصيل الذي ذكرنا فيثبت فيه مبادئ سائر العلوم الدينية من الكتاب والسنة، وصِدْقِ الرسول ﷺ فيأخذ المفسر من جملة ما نظر فيه المتكلم واحدًا خاصًا، وهو قول الرسول ﷺ الذي دل المتكلم على صدقه فينظر في وجه دلالته على الأحكام، ولا يجوز نظر الأصولي قول الرسول ﷺ فإن الكتاب إنما يسمعه من قوله، والإجماع يثبت بقوله، فإذن علم الكلام هو المتكفل بإثبات مبادئ العلوم الدينية كلها، وهي جزئية بالإضافة إليه، فهو يحكم فيها عمومًا؛ لأنه رئيس العلوم الشرعية على الإطلاق لنفاذ حكمه فيها بأسرها، وليس ينفذ فيه حكم شيء منها، ومشهور علم الكلام بالكلي وسائر العلوم بالجزئي، من حيث التوقف والعموم والخصوص كما يتوقف ثبوت زيد مثلا على ثبوت الإنسان، ولا يتوقف ثبوت الإنسان على زيد، فهو أعم من كل واحد؛ لوجوده في جميعها كما قال الشيخ ابن زكري في منظومته [ل/١٦و]:

ونسبة الكلام للعلوم * دينية يحكم بالعموم**

فهو لها كمثل الكلي * وهي له كمثل الجزئي**

من أجل ذا توقفت عليه * والعكس غير ثابت لديه**(١)(٢)

(١) محصل المقاصد، ابن زكري، مخطوط (لوحة رقم ٨).

(٢) التعليق: هناك علاقة وثيقة بين علم الكلام وسائر العلوم الأخرى، فعلم الكلام هو السعي الممنهج لتفسير القضايا المطروحة في النصوص الدينية، ولاشك أن النصوص الدينية هي القرآن والسنة، لذا لا يخفى الصلة الوثيقة بين علم الكلام وبين أصول الفقه والتفسير واللغة وغيرها، فهو لها كالأساس وهي له كالبناء.

مبحث فائدة علم الكلام:

وأما فائدته: فمعرفة المعبود سبحانه، ومعرفة رسله عليهم الصلاة والسلام وما جاءوا به عن الله تعالى وبها الوصول إلى السعادة الأبدية التي هي غاية الأغراض، ومنتهى الغايات، ومنها: الذب عن الدين ونصرته، ومقابلة البدع والعناد بالتأويل، وتمييز السنة من البدعة عند المشابهة.

ومنها: كثرة التصرف في العلوم لمن حصل له فيه ملكة؛ لأن صاحبه إنما ينظر في الأمور الكلية إلى غير ذلك من الفوائد، وقد ذكر العلماء كثيرًا من فوائده منها: اجتناء ثمرة العبادة التي هي كمال المعرفة بالله تعالى لمن حصل له هذا العلم بمعنى أن العبادة إذا كانت مع إتقان العقائد حصلت ثمرتها، وإلا فلا، كما يشاهد في الجملة المجتهدين في العبادة، ويحتمل أن يراد بثمرة العبادة قبول العمل، وترتب الثواب عليه، وهذا لصحة النية بإخلاصها في الأعمال، وصحة الاعتقاد بقوة في الأحكام المتعلقة بالأفعال، وبهذه الصحة في النية والاعتقاد يرجى قبول العمل، وترتب الثواب عليه(١).

(١) التعليق: وفائدة علم الكلام والتوحيد وأصول الدين، تتمثل في انتظام أمر المعاش، لان الإنسان إذا عرف هذا العلم واطمأنت إليه نفسه، وتكيّفت في صفاتها به، حصل السعادة الذاتية، وإذا انتشرت أحكام الشريعة بين الناس وجعلوها هي الحكم بينهم في معاملاتهم، وهي الميزان الذي يزنون به تصرفاتهم حصل الانتظام المطلوب، ولا يمكن التمسك بأحكام الشريعة إلا بالإيمان بأصول التوحيد على منهاج أهل الحق.

مبحث فضيلة علم الكلام:

وأما فضيلته: فبحسب فائدته، وما يثمره، وقد علمت أن ما يثمره هذا العلم [هو أعظم الفوائد، وبذلك تعلم أن هذا العلم][(١)] أفضل العلوم وأشرفها، وأن العلم يشرف بشرف معلومه، ولأن ما يحصل عنه من توحيد الله تعالى وإفراده بالألوهية هو أشرف الفوائد وأهم ما طلبته الرسل عليهم الصلاة والسلام من أممهم فكان علم الكلام لذلك أشرف العلوم.

ومن فضائله: أنه موصل إلى الإيمان، وكمال العقل والمعرفة بالله [سبحانه][(٢)]وتعالى والقرب منه جل وعز [ل/١٦ظ] انتهى معرفة المبادئ العشرة وبالله تعالى التوفيق لا رب غيره[(٣)].

(١) ما بين المعقوفتين لم يذكر في (أ) وما أثبته من (ب).

(٢) ما بين المعقوفتين لم تذكر في (أ) وما أثبته من (ب).

(٣) التعليق: جميع العلوم الشرعية مبنية على هذا العلم، لأنه إذا لم يثبت وجود صانع عالم قادر مرسل للرسل ومنزل للكتب لم يتصور علم التفسير والحديث والفقه، فكلها متوقفة على علم الكلام مقتبسة منه، والآخذ فيها بدونه كمن يبني بغير أساس، لذا كان هذا العلم أشرف العلوم، فشرف العلم بشرف المعلوم.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١. **أبو الحسن الأشعري:** لحماد بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي (ت ١٤١٨هـ)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، طبعة السنة السادسة، العدد الثالث، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٢. **إتحاف المريد بجوهرة التوحيد:** للعلامة عبد السلام بن إبراهيم اللقاني (ت ١٠٧٨هـ)، ومعه النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد: لمحمد محي الدين عبد الحميد، قدم له محمد علي ادلي، مكتبة دار الفلاح حلب، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٣. **إجماع في الشريعة الإسلامية:** لرشدي عليان، الجامعة الإسلامية، ط السنة العاشرة، العدد الأول، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٤. **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول:** لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق، كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٥. **الأعلام:** لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٦. **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية:** لادوارد كرنيليوس فانديك (ت ١٣١٣هـ)، صححه وزاد عليه:

السيد محمد علي البيلاوي، مطبعة التأليف (الهلال)، مصر، ١٣١٣هـ-١٨٩٦م.

٧. **البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان:** لابي عبدالله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم المديوني التلمساني، وقف على طبعه: الشيخ محمد ابن ابي شنب، طبع في المطبعة الثعالبة لصاحبيها: احمد بن مراد التركي واخيه سنة ١٢٢٦هـ.

٨. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:** لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.

٩. **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام:** لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.

١٠. **تاريخ قضاة الأندلس:** لأبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الحسن الجذامي النباهي المالقي الأندلسي (ت نحو ٧٩٢هـ)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١١. **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري:** لثقة الدين، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

١٢. **الجواهر المضية في طبقات الحنفية:** لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبي محمد، محيي الدين الحنفي (ت ٧٧٥هـ)، مير محمد كتب خانه، كراتشي.

١٣. **الدر الثمين في أسماء المصنفين:** لعلي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين ابن السَّاعي (ت ٦٧٤هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنبين، محمد سعيد حنشي، دار الغرب الاسلامي، تونس ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٤. **الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين):** لمحمد بن أحمد ميارة المالكي، تحقيق: عبد الله المنشاوي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٥. **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل:** لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٦. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة:** لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٧.**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية:** لمحمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف (ت ١٣٦٠هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٨.**شرح الأصول الخمسة:** للقاضي عبد الجبار أحمد الهمداني، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة مصر، ط٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٩.**شرح الشفا:** لعلي بن سلطان محمد، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٠.**شرح المواقف:** للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، ومعه حاشيتا السيالكوتي والجلبي، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢١.**شرح ديوان المتنبي:** لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ).

٢٢.**شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم:** للإمام الحافظ ابي الفضل عياض بن موسى بن عياض (ت ٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحيى اسماعيل، دار الوفاء.

٢٣.**شرح وصية الإمام الأعظم أبي حنيفة** ﷺ: للعلامة الأصولي الفقيه المحقق أكمل الدين محمح بن محمد البابرتي الحنفي (ت ٧٨٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد صبحي العايدي، حمزة محمد وسيم البكري، دار الفتح، ط١، ٢٠٠٩م.

٢٤. **صحيح البخاري:** لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٥. **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع:** لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢٦. **طبقات الشافعية الكبرى:** لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) تحقيق: محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.

٢٧. **طبقات الفقهاء الشافعية:** لعثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٢٨. **طبقات الفقهاء:** أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)، هذبهُ محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.

٢٩. **العقيدة الإسلامية ومذاهبها:** لقحطان عبد الرحمن الدوري، بيروت، لبنان، ط٥.

٣٠. **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية:** لعبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الاسفراييني، أبي منصور (ت ٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

٣١. **كشف الخفاء ومزيل الإلباس:** لإسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبي الفداء (ت ١١٦٢هـ)، تحقيق عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣٢. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:** لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى، بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، ١٩٤١م.

٣٣. **المسامرة في شرح المسايرة** للشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي (ت ٨٧٨هـ)، المطبوع بهامش: كتاب المسامرة في شرح المسايرة: للكمال بن أبي شريف بن الهمام، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٦م.

٣٤. **المستصفى**: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣٥. **المطلع على ألفاظ المقنع:** لمحمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبي عبد الله، شمس الدين (ت ٧٠٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٣٦. **مُعجَمُ أعلام الجزائِر، مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر:** لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٣٧. **معجم البلدان:** لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٣٨. **معجم المطبوعات العربية والمعربة:** ليوسف بن إليان بن موسى سركيس (ت ١٣٥١هـ)، مطبعة سركيس بمصر، ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م.

٣٩. **مفاتيح الغيب** «**التفسير الكبير**»: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٤٠. **الملل والنحل:** لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي.

٤١. **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي:** ليوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبي المحاسن، جمال الدين (ت ٨٧٤هـ)، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤٢. **المواقف:** لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٤٣. **موضوعات الصغاني:** للإمام العلامة الفقيه المحدث اللغوي: أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن القرشي الصغاني (ت ٦٥٠هـ)،

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: نجم عبد الرحمن خلف، دار المأمون للتراث، دمشق بيروت، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م.

٤٤. **نهاية الإقدام في علم الكلام:** للشيخ الإمام عبد الكريم الشهرستاني رحمه الله، حرره وصححه الفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٤٥. **نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام:** للشيخ العالم العلامة أبي عبد المعطي محمد بن عمر بن علي بن نووي الجاوي البنيتني التناري، دار الحاوي، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٤٦. **هداية المريد لجوهرة التوحيد:** للإمام العلامة برهان الدين إبراهيم اللقاني (ت ١٠٤١هـ) حققه وضبط حواشيه: مروان حسين عبد الصالحين البجاوي، دار البصائر، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.